



بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرة علمية بعنوان :

أصول التربية الإسلامية وأساليبها - الجزء 2

إعداد وتقديم : الشيخ المقرئ عبد الله كشكوش المقدسي

إشراف د. هانيبال يوسف حرب

قدمت هذه المحاضرة على التليغرام على : الأكاديمية الأمريكية FG-Group

بسم الله والحمد والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :
اخوة الايمان والنور السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .. أرحب بكم جميعاً في فلك العلم والايمان
المشحون الذي سنبحر به الليلة ان شاء الله في بحر من بحور العلم .. فمرحبا بكم جميعاً .. وعلى
بركة الله نسير .. بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ..

نتابع في أسس التربية الاسلامية .. ووصلنا الى النقطة الثانية وهي :

- نظرة الاسلام الى الكون :

حيث تمتاز نظرة الاسلام الى الكون بأنها ليست نظرة عقلية محضة .. ولكنها تعمل على تحريك
عواطف الانسان .. وشعوره بعظمة الخالق .. ويصغر الانسان امامه وبضرورة الخضوع له .. كل ذلك
الى جانب البراهين العقلية القاطعة على وحدانية الله وألوهيته في هذا الكون وسائر الاكوان التي لا
نراها ..

1- فالكون كله مخلوق لله خلقه لهدف وغاية .. وما كان اللعب والعبث باعثاً على الخلق ..

{ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِاعْبَيْنَ {٣٨} مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا

يَعْلَمُونَ {٣٩} الأنبياء .

وأما تحريك عواطف الانسان .. فبالاستفهام والحض على العبادة وتوحيد الله بعد تأمل مخلوقاته .. قال سبحانه : **{ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {٦٣} الزمر .**

- الاثار التربوية :

ولهذه النظرة الاسلامية الى الكون آثار تربوية منها:

- رتباط المسلم بخالق الكون وبالهدف الاسمي من الحياة وهو عبادة الله.

- تربية الانسان على الجدية .. فالكون كله اقيم على اساس الحق ووجد لهدف معين والى اجل مسمى عند الله .. وليس العبث واللغو من شأنه تعالى .

وهذا يعلم الانسان ان يبحث عن غاية كل ظاهرة من ظواهر الكون .. وأن يبعد تفكيره .. عن اللغو والعبث والضياع .. وأن يكون تأمله لهذا الكون تأملاً منطقياً علمياً .. ولتحقيق هذا واستكمالته .. لفت القرآن انظر المتأمل الى امرين آخرين غير الجدية والغاية .. سنراهما في الفقرتين التاليتين :

2- خضوع الكون لسنن منها الله وفق أقدار قدرها الله :

{ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ {٣٧} وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ {٣٩} لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } .

وقال تعالى :

{ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ {٢٠} وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ {٢١} .

فدورة الشمس والقمر في فلك لا يحيدان عنه .. وفي مواسم لا تتخلف .. كل ذلك يجري حسب سنن كونية منها الله .. ومقادير قدرها الله ..

وكذلك جميع الاحياء التي على الارض جعل الله لها معاش .. مقدرة مقتننة ما ينزلها الا بقدر معلوم ..

وقد علم الله الانسان الحساب بتكرار الليل والنهار .. وتقدير الفصول الاربعة .. والاشهر القمرية ..

قال تعالى :

{ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِنَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا { ١٢ } .
 وقال عز وجل :

{ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }

والحق ان علم الحساب كله قائم على تكرار الوحدات المتساوية وعدها واصافتها بعضها الى بعض ..
 اما على مجموعات مختلفة العدد (الجمع) .. واما على تكرار مجموعات متساوية العدد (الضرب) ..
 وكذلك (القسمة) للاعداد المؤلفة من وحدات متجانسة متساوية .. او انقاصها أي (طرح وحدات)
 منها .. ثم تفنن الانسان في الكسور والجبر والتفاضل والتكامل ..
 وكل ذلك يرجع في اصله الى ما تعلمه الانسان الاول من عد الايام والاشهر وعد السنين ..
 وحساباتها.. وما يزال الانسان يضبط اوقاته على هذا (الميقات الرباني) الذي هو دورة الارض ..
 والقمر والفصول الاربعة .

- الاثر التربوي :

ومما تقدم نجد ان القرءان ربي عقل المسلم على مبدئين آخرين علميين .. غير مبدئي السلبية والغاية
 والتفكير الجدي المنطقي .. هما :

1- تكرار حوادث الكون حسب سنن سننها الله له .. وهو جل جلاله وحده يملك ان يغيرها اذا شاء ..
 وهذا هو المبدأ الذي بنيت عليه اليوم جميع القوانين العلمية .. وهو اساس التفكير العلمي.. الذي به
 اكتشف الانسان واخترع كل مظاهر الحضارة .

2- ان سنن هذا الكون وجميع حوادثه وظواهره وكنائنه : من اصغر ذرة الى اكبر جرم قد خلقها الله
 وسيرها .. او انزلها بقدر معلوم .. لا يزيد ولا ينقص ولا يتعدى شيء حدوده فيختل توازنه او يخل
 بنظام غيره .. مما جاوره او قابله .. او تأثر به او اثر فيه .. ومن هذه المبادئ التي استوحاها علماء
 المسلمين من القرآن وارتقوا بها في العلوم الطبيعية .. استتقت اوربا مبادئ التفكير العلمي ووحدة
 قوانين العلم الحديث ومناهج التفكير العلمي المنطقي .. وهذا هو المبدأ الثاني من مبادئ المنطق

العلمي (اقامة الملاحظة العلمية على اساس القياس الكمي لا على اساس الوصف الكيفي) .. انه المبدأ الذي يربي العقل على الدقة لياخذ كل شيء بمقياس ..

3- الكون مسير ومدبر دائما بقدره الله :

فالله الذي رتب سنن الكون بقي .. وما زال .. قائماً على تسييره وتدييره امره .. يمهده بقوته .. يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ..

{ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } {٤١} .

{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ } {٢٥} الروم .

{ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } {٥} السجدة .

والانسان جزء من هذا الكون .. فلا جرم انه خاضع في كل شؤونه وحياته وموته .. لتقدير العزيز العليم .. ولسنن سننها الله ..

{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ } {٦١} الانعام .

4- وكذلك الانسان : قد رتب الله سنناً اجتماعية لحياته :

فأرسل على اساسها الرسل .. وعذب الامم .. وأهلك بعضها .. ورتب آجالها .. وغير أحوالها .. قال تعالى :

{ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ } {١٠} لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ } {١١} الرعد .

وقال سبحانه :

{ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ { ٣٧ } آل عمران .

وقد تأثر .. بل توجه ابن خلدون بهذه السنن الاجتماعية .. المذكورة في القرآن عند وضع معظم نظرياته الاجتماعية .. بل وضع اساس علم الاجتماع في مقدمته المشهورة ..

5- الكون كله قانت لله :

ومن الفقرتين السابقتين ينتج معنا ان كل ما في الكون خاضع لله .. ولتدبيره ولأمره .. وإرادته ومشينته .. وقد بين الله ذلك في مواضع من كتابه العزيز ..

{ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ۗ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَنِينٌ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } البقرة .

- الاثر التربوي :

اذا كانت كل الكائنات والجمادات تخضع لبارئها وتشهد بعظمته وتنزيهه عن كل نقص فأجدر بالانسان العاقل المفكر ان يعترف لربه بالنعمة والفضل ويستشعر عظمته .. ويسبح بحمده ويقدم له .. وهذا من اهم النتائج التربوية الناجمة عن عرض الاسلام للكون ولخصائصه .. بهذا الاسلوب التربوي .

6- كثير مما في الكون مسخر للانسان زاخر بالنعمة :

يمتاز الدين الاسلامي .. بأن جعل الانسان يستخدم ما حوله من الكائنات وقوى الكون .. ولفت نظره الى انه مسلط عليها باذن الله .. وان الله قد سخرها له .. من اكبر الاجرام التي تؤثر في حياته كالشمس .. الى اصغر الكائنات التي يستطيع الاستفادة منها كالنحل .. والذرة ..

قال تعالى :

{ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ {32} وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَانِبِينَ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ

اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ {33} وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ^ع وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا^ط إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ {34} ابراهيم .

- الاثر التربوي :

هذه الآيات وكثير امثالها .. ترقق قلب الانسان .. وتربي عواطفه وانفعالاته على الخشوع لله .. والشعور بفضله .. وعنايته .. وحلمه .. وتدفع الانسان الى حمد الله وشكره .. وتسبيحه وتوحيده .. وهي تربي العقل على مبدأ علمي عملي .. كان آخر ما اهتدى اليه الفكر الغربي هو مبدأ التقنية واستخدام القوانين العلمية وقوى الكون لرفاهية الانسان .. ذلك ان كل آية من هذه الايات التي نزلت منذ اربعة عشر قرناً .. تقول للانسان : استخدم حرارة الشمس التي سخر الله لك واستخدم ضوء القمر .. والرياح والنجوم والانهار والجبال والبحر .. وكل شيء سخره الله لك .. وجعل مفتاحه بيدك .. وهذه قاعدة تشمل كل ما في الارض .. ألم يقل الله تعالى :

{ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا {29} البقرة .

هذا من الناحية العلمية والاجتماعية والحضارية .. اما من الناحية التربوية فقد ربانا القرآن التربية التي لا يطغى فيها الانسان .. ولا يتجاوز حده في استخدام هذه الامور .. فلا يفسد ماء الانهار .. ولا يقتل كائنات البحار .. ولا يستعمل نعم الله في سفك الدماء .. وتعميم الدمار .. ولا يظلم أخاه الانسان فيغصب خيراته بغياً وعدواناً او زوراً وبهتاناً .. والتربية الاسلامية هي التي ضمنت هذا الجانب .. فالانسان . تحت رايته . انما يستخدم ما سخر الله له باسم الله .. ويأمره .. وفي حدود شريعته .. والله لا يحب الفساد ولا يسمح بالظلم والعدوان .. بل يدعو الى العدالة بين الناس .. والتراحم والتكافل والتعاون .. فاذا ذكر الانسان اسم الله على كل سلوكه وتصرفاته .. وعلى كل ما يستخدمه اصبح سلوكاً مثالياً .. وامتنع عن كل بغي وعدوان وافساد وبهتان .

بينما المنحرف عن دين الله شقي في الدنيا وشقي في الآخرة .. واسباب شقائه في الدنيا هي عدم ووضوح الهدف .. فالكافر لا يدري لماذا خلق ؟ ومن خلقه ؟ ولماذا يعيش .. وما هي واجباته في هذه

الحياة .. والى اين يسير وماذا بعد الموت .. واذا فقد الانسان الهدف فقد مسوغ حياته .. واذا فقد مسوغ حياته لجأ الى الانتحار او اصيب بالامراض النفسية .. كما هو الحال في كثير من الدول التي لا تؤمن بالله تعالى او تؤمن به ايمانا منحرفاً .

وقد يكون لبعض المنحرفين عن منهج الله اهداف غير مادية او دنيوية .. ومع ذلك تجدهم في قرارة نفوسهم .. لأنهم لا يثقون بصحة مناهجهم .. ولا يطمنون الى صدق عقائدهم .. ولا يؤمنون بها اماناً كاملاً راسخاً مطمئناً بل يساورهم الشك دائماً في اديانهم ومبادئهم ..

فالمسلم وحده هو المطمئن الى دينه وعقيدته .. لا يراوده ادنى شك في ذلك .. قال تعالى :

{ إِن يَبْتَغُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا } .

وهكذا احببتنا وصلنا الى نهاية المحاضرة الثانية عند نقطة (نظرة الاسلام الى الكون) والاثار التربوية المتعلقة بها .. ونتابع ان شاء الله تعالى في المحاضرة القادمة .. نظرة الاسلام الى الحياة .. وما الاثار التربوية التي تترتب على ذلك .

نلتقاكم ان شاء الله تعالى في محاضرات قادمة .. استودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ..
وسلام الرب عليكم .. طهرا و قدسا ونورا .. ورحمته صلى الله عليه حباً ونوراً سارياً فينا ازلاً وأبداً ..
وبركاته المتجلية علينا وعلى من سار على دربه الى اليوم الدين .